عــرض لكتــاب
أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم
لأبي عبد الله محمد بن أحمد المقدسي

أ. د. إبراهيم السامرائي

جامعة صنعاء

أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم (١)
لأبي عبد الله محمد بن أحمد المقدسي (٢)

أشار مؤلف الكتاب في «خطبته» بعد البسملة والحمد له إلى كتابه حفيًّا به، مخلصا إليه، وليس ذلك على سبيل الزهد والادعاء قال:

قال أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسي: أما بعد فإنه ما زالت العلماء ترغب في تصنيف

(١) كتاب «أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم» للمقدسي، نشره م ش دغويه في ابريل سنة ١٩٠٦م. وأعاد نشره (بالأوفست) صاحب مكتبة المثنى ببغداد، ثم أعاده كذلك صاحب مكتبة خياط ببيروت.
ومن المفيد أن أشير إلى عوار هذه النشرة التي حفلت بشيء غير قليل من التصحيف، ومن الكلم المعدول عن جهته وليس من همنا تتبع هذا النقص، ذلك أن غرضنا من هذا الدرس الوقوف على الكتاب واستجلاء فوائده وأسراره، وما تفرد به مؤلفه مما حق له أن يشير إليه في مقدرته مفتخرا بحق.
ثم إنّ هذه النشرة جاءت غفلا من الإشارات المتبعة في عصرنا كعلامات الاستفهام والتعجب ووضع النقاط في أواخر الجمل، ووضع الكلام الجديد في أوائل السطور، وليس فيها إلاّ الشولة (6)، ومن أجل ذلك عسر النظر فيه.
والكتاب بعد هذا كله محتاج إلى النشر. لقد أثبت الناشر (دي غويه) في حواشيه ما ورد في نسختين من أصول الكتاب وهما (B) و (C) مما لم يره مناسبا فأثبت ما في (A) وهي نسخته المفضلة. وقد رأيت هذه المواد المرفوضة فوجدت قسما منها أفضل مما ورد في النسخة المفضلة، ولكنه اجتهد، فلم يوفق. ومن هنا كان الشروع في اعادة تحقيق الكتاب على هذه الأصول، وربما تهيأ لمن سيقوم بهذا العمل أصول أخرى لم يقف عليها المحقق القديم. على أنَّ من الحق أن يقر للمحقق، وهو المستشرق الشهير، بالفضل والاجتهاد لسبقه في وضع هذه النشرة التي قدمت فوائد جمة ولا سيما ما جاء في تعليقاته وملاحظاته التي ذيل بها الكتاب. وقد يكون مفيدا أن أشير إلى بعض العوار الذي كان بسبب رسم الكلم المهموز، فقد سهلت الهمزة أينما وجدت فتغير الكلم، وابتعد عن الصواب في مواضع كثيرة.

(٢) هو محمد بن أحمد بن أبي بكر البناء، المقدسي، ويقال له: البشّاري، شمس الدين أبو عبد الله، رحالة جغرافي ولد في القدس، وتعاطي التجارة، فتجشم اسفارا هيأت له المعرفة بغوامض أحوال البلاد، ثم انقطع إلى تتبع ذلك، فطاف أكثر بلاد الإسلام، وصنف كتابه «أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم» وهو من رجال القرن الرابع الهجري، توفي سنة ٣٨٠.
انظر مجلة المشرق ١٠/٦٨٣ ــ ٦٩٥، معجم المطبوعات ١٧٧٣، Brock S. I: 4lo.

الكتب لئلا تدرس آثارهم، ولا تنقطع أخبارهم، فأحببت أن أتبع سنَنَهم، وأقفو سنَنَهم، وأقيم به علما أحيي به ذكري، ونفعاً للخلق أرضي به ربّي.

ووجدت العلماء قد سبقوا إلى العلوم فصنَّفوا على الابتداء ثم تبعتهم الأخلاف فشرحوا كلامهم واختصروه، فرأيت أن أقصد علما قد أغفلوه، وأنفرد بفن لم يذكروه إلاَّ على الاخلال.

وهو ذكر الأقاليم الإسلامية وما فيها من المفاوز والبحار، والبحيرات والأنهار، ووصف أمصارها المشهورة، ومدنها المذكورة، ومدارسها المسلوكة، وطرقها المستعملة، وعناصر العقاقير والآلات، ومعادن الحمل (؟) والتجارات، واختلاف أهل البلدان في كلامهم وأصواتهم وألسنتهم وألوانهم، ومذاهبهم ومكاييلهم وأوزانهم ونقودهم وصروفهم، وصفة طعامهم وشرابهم وثمارهم ومياههم، ومعرفة مفاخرهم وعيوبهم، وما يُحْمَل مِنْ عندِهم وإليهم، وذكر مواضع الأخطار في المفازات، وعدد المنازل في المسافات، وذكر السباخ والصلاب والرمال، والتلال والسهول والجبال والحواوير والسماق، (٣) والسمين منها والرُقاق (٤)، ومعادن السعة والخصبة، ومواضع الضيق والجدب، وذكر المشاهد والمراصد، والخصائص والرسوم (٥) والممالك والحدود، والمصارد والجروم (٦)، والمخاليف والزموم (٧)، والطساسيج والتخوم (٨)، والصنائع والعلوم، والمباخس والمشاجر (٩)، والمناسك والمشاعر (١٠) وعلمت أنه باب لابد منه للمسافرين والتجار، ولا

(٣) الحواوير جمع حوّاره وهي التربة البيضاء التي تطلى بها الجدران، من الكلام العامي، وكذلك السماق فهي جمع سمقة، وهي التراب الرخو، من الكلم العامي في بلاد الشام.

(٤) الرُّقاق بالضم الرقيق، والرقاق: الخبز الرقيق واحدته رقاقة.

(٥) الرسوم جمع رسم وهو ما ألفه الناس من عادة وتقليد وترتيب.

(٦) المصارد كأنها جمع مصراد وهو الأرض لا شجر فيها، والجروم جمع جَرْم بالفتح، وهو الارض الشديدة الحر.

(٧) المخاليف جمع مخلاف، و «مخاليف اليمن» تقسيمات إدارية خاصة باليمن والزموم لا أعرفها ولكني وجدت الزُمّام كرُمّان للعشب المرتفع.

(٨) الطساسيج جمع طسّوج قدر معين من الارض أي الناحية، وهو ربع الدانق أيضا، والتخوم هي الحدود.

(٩) المباخس هي مزارع الخضراوات، والمشاجر أرض الشجر.

(١٠) المناسك والمشاعر هي الرسوم التي تتصل بالفرائض كمناسك الحج، وأما المشاعر فهي المشاهد في الحج أيضا جمع مشعر.

غنى عنه للصالحين والأخيار، اذ هو علم ترغب فيه الملوك والكبراء، وتطلبه القضاة والفقهاء، وتُحبُّه العامة والرؤساء و ينتفع به كل مسافر، ويحظى به كل تاجر.

وما تم لي جمعه الآ بعد جولاني في البلدان، ودخولي في أقاليم الإسلام، ولقائي العلماء، وخدمتي الملوك، ومجالستي القضاة ودرسي على الفقهاء، واختلافي إلى الأدباء والقراء، وكتبة الحديث، ومخالطة الزهاد والمتصوِّفين، وحضور مجالس القصاص والمذكِّرين (١١)، مع لزوم التجارة في كل بلد، والمعاشرة مع كل أحد، والتفطن في هذه الأسباب بفهم قويّ حتى عرفتها، ومساحة الأقاليم بالفراسخ حتى أتقنتها، ودوراني على التخوم حتى حرّرتها، وتنقُّلي الى الأجناد (١٢) حتى عرفتها، وتفتيشها حتى رتبتها، وتدبري في الكور (١٣) حتى فصلتها، و بحثي عن الأخرجة حتى مع ذوق الهواء، و وزن الماء، وشدة العناء، و بذل المال، وطلب الحلال، وترك المعصية، ولزوم النصح للمسلمين بالحسبة (١٤) والصبر على الذل والغربة، والمراقبة لله والخشية بعدما رغبت نفسي في الأجر، وَطمَّعتها في حسن الذكر، وخوّفتها من الإثم وتجنّبْت الكذب والطغيان (١٥)، وتحرَّرت بالحُجَج من الطعان، ولم أودعه المجاز والمُحال (١٦)، ولا سمعت الا أقوال الثقات من الرجال، أعاننا الله على ما قصدناه...» (١٧)

أقول: قد أبحت لنفسي إثبات هذه «المقدمة» الطويلة، وذلك لفوائدها الكثيرة، وتفصح هذه الفوائد عن النهج العلمي في وضع مشاريع الدرس والبحث كما ينظر إليها المعاصرون، وكأن المقدسي لم يبتعد كثيرا عن أسلوب المعاصرين في الدراسات الاجتماعية

(١١) والمذكّر هو الذي يردد الصلاة لله تعالى والدعاء في تلاوة خاصة.

(١٢) أجناد الشام، جمع جند وهي خمسة: جند فلسطين، وجند الاردن، وجند دمشق، وجند حمص، وجند قنسرين. قال أحمد بن يحيى بن جابر: اختلفوا في الأجناد، فقيل سمى المسلمون فلسطين جندا لأنه جمع كورا ... وقيل: ...

(١٣) الكور جمع كورة وهي الحواضر كالكوفة والبصرة و بغداد.

(١٤) الحسبة هي الاحتساب والتوكل.

(١٥) الطغيان هو الجور والظلم.

(١٦) المحال هو الكذب والباطل

(١٧) ص ١-٣.

التي تقوم على النظر والبحث والاستقصاء والتنظيم واستخلاص النتائج . وكان علينا أن نضع المقدسي بين الدارسين العلميين أو قل في مقدمة هؤلاء الذين شغفوا بالدرس عن طريق النظر والمعاينة وتبين الفوائد من أهل الخبرة . ألا ترى أنه قام بشيء أقرب ما يدعى في عصرنا بالمنهج العلمي الصارم الذي يتخذ من «الاستبيان» (quest bnnai) طريقة للوصول إلى النتائج المرجوة . لقد جوّل في البلدان ، ورأى رأي العين ، ورسم التخوم ، ثم قرأ الكتب وجالس أهل الاختصاصات وأخذ عنهم واستفسر ، وتجنّب المبالغات ، واستعمل العقل ، فكتب كتابه .

تعليق :

١ ــ مادة الكتاب :

كأن القارىء حين يقف أول وهلة على عنوان الكتاب يذهب ظنُّه إلى أنَّه من كتب البلدان ، وهي مادة الجغرافية الطبيعية ومادة الجغرافية البشرية . إنَّ كلامه على البيئة الطبيعية كالسهول والجبال والمرتفعات والأنهار والوديان ، والمناخ والمطر ، كل أولئك من مادة الجغرافية الطبيعية غير أنه لا يقتصر على هذا بل يتجاوز إلى وصف الإقليم من الناحية الواقعية ، وذلك حين يذكر التقسيمات الإدارية للحواضر الكبيرة والمدن التي تليها ، والقرى وكافة ما يدخل في هذا الباب ممّا يندرج في مواد الجغرافية الإقليمية .

وأما كلامه على الزراعة وما يزاوله الناس في حرفهم وصناعاتهم مِمَّا هويمس الناحية الاقتصادية فهو شيء من مواد الجغرافية البشرية . وأنت تجد من هذا ما يتصل بعلم الاجتماع ، ذلك أنه يتناول الناس وعلاقتهم بالبيئة وما تفرضه البيئة عليهم من عادات وممارسات في السلوك . ولا يبعد عن هذا ما يتصل باللغة العامة التي تغلب على الناس في إقليم من الأقاليم ، وما يتفرغ عن هذه اللغة من لهجات تبعد أو تقرب منها .

وقد تجد في هذا الكتاب شيئاً يتصل بالمذاهب والفرق وسائر الملل والنحل . وقد يكون فيما جاء في خطبته ذا فائدة كبيرة في الوقوف على هذا الكتاب وما يتصف به من السعة .

وبعد أن أنهى المؤلف خطبة الكتاب شرع في شيء آخر دعاه «مقدمات وفصول لابد منها» وكأنه أراد أن يبسط بين يدي القارىء مصادر كتابه، وفوائد أخرى، وها نحن نعرض لها.

٢ ــ مصادر الكتاب

١ ــ ما شاهده وعاينه فأثبته ووصفه فقال:

«اعلم أني أسست هذا الكتاب على قواعد محكمة، وأسندته بدعائم قوية، وتحريت جهدي الصواب،

٢ ــ واستعنت بفهم أولي الألباب. وسألت الله ــ عزّ اسمه ــ أن يجنبني الخطأ والزلل ... فأعلي قواعده وأرصف بنيانه ما شاهدته وعقلته، وعرفته وعلّقته، وعليه رفعت البنيان، وعملت الدعائم والأركان ... (١٨).

تعليق: أقول: ولم يكتف بما شاهد، بل استعان بغيره للوصول إلى الفوائد فقال:

... وما استعنت به على تبيانه سؤال ذوي العقول من الناس، ومن لم أعرفهم بالغفلة والالتباس، عن الكور والأعمال (١٩) في الأطراف التي بعدت عنها، ولم يتقدر لي الوصول إليها، فما وقع عليه اتفاقهم أثبته، وما اختلفوا فيه نبذته، وما لم يكن لي بدّ من الوصول إليه، والوقوف عليه قصدته، وما لم يقرَّ في قلبي ولم يقبله عقلي أسندته إلى الذي ذكره، أو قلت: زعموا ... (٢٠).

أقول: ومن أصالة هذا المؤلف توخّيه العلم، وأخذه عن الثقات، وفصله فيما اختلفوا فيه، وتصحيفه لما لم يعتقد فيه الجد، فقد ذكر أنه رماه على أصحابه فقال: وزعموا، والزعم قول لدى أهل العلم لم يُطْمأَنّ الى حقيقته.

---

(١٨) ص ٣.

(١٩) المصدر نفسه.

(٢٠) المصدر نفسه.

وقد عرض المؤلف بعد هذا لمن سبقه مِمَّن ألف في «البلدان» ومنهم أبوعبد الله الجيهاني (٢١) الذي رفض طريقته فقال : كان وزير أمير خراسان ، وكان صاحب فلسفة ونجوم وهيئة ، فجمع وسألهم عن الممالك ودخلها ، وكيف المسالك إليها ، وارتفاع الخنّس منها وقيام الظل فيها ليتوصل الى فتوح البلدان ، و يعرف دخلها له علم النجوم ودوران الفلك. الا ترى كيف جعل العالم سبعة أقاليم ، وجعل لكل إقليم كوكبا ، مرة يذكر النجوم والهندسة ، وكرّة يورد ما ليس للعوام فيه فائدة ، وتارة ينعت أصنام الهند وطورا يصف عجائب السند ، ورأيته ذكر منازل مجهولة ، ومراحل مهجورة ... (٢٢).

وأمّا أبو زيد البلخي (٢٣) فإنه قصد بكتابه الأمثلة وصورة الأرض بعد ما قسمها على عشرين جزءاً ، ثم شرح كل مثال ... واختصر ولم يذكر الأسباب المفيدة ، ولا أوضح الأمور النافعة ... وترك كثيراً من أمهات المدن فلم يذكرها ... (٢٤).

وأما ابن الفقيه الهمذاني (٢٥) فإنّه سلك طريقة أخرى ، ولم يذكر إلا المدائن العظمى ، ولم يرتب الكور والأجناد وأدخل في كتابه ما لا يليق به من العلوم ، مرة يزهد في الدنيا ، وتارة يرغب فيها ، ودفعة يبكي وحينا يضحك و يلهي ... (٢٦).

وأمّا الجاحظ (٢٧) وابن خرداذبه (٢٨) فإنَّ كتابيهما مختصران جدا لا يحصل منهما كثير فائدة ... (٢٩) وقد اجتهدنا في أن لا نذكر شيئاً قد سطروه ، ولا نشرح أمرا قد أوردوه

(٢١) هو محمد بن أحمد ، أبو عبد الله الجيهاني (صدر القرن الرابع الهجري) صنف «المسالك والممالك» ولم يصل الينا ، انظر : الجغرافية عند المسلمين ص ١٢٣ (بيروت دار الكتاب اللبناني) من لجنة ترجمة دار المعارف الاسلامية.

(٢٢) المصدر السابق ص ٤.

(٢٣) هو أحمد بن سهل ، أبوزيد البلخي ، جمع بين الشريعة والفلسفة والأدب ، ساح سياحة طويلة ثم عاد ، توفي سنة ٣٢٢ هـ معجم الأدباء ٣/٦٥ ـ ٨٦.

(٢٤) أحسن التقاسيم ص ٤.

(٢٥) هو عبد الله بن أحمد ، ابن الفقيه . انظر وفيات الاعيان (القاهرة ١٣١٠/٢٦٨).

(٢٦) هو عبد الله بن أحمد ، ابن الفقيه . انظر وفيات الاعيان (القاهرة ١٣١٠/٢٦٨).

(٢٦) أحسن التقاسيم ص ٤.

(٢٧) يشير إلى كتاب «البلدان» نشره الدكتور صالح أحمد العلمي في مجلة كلية الآداب (بغداد ١٩٧٠).

(٢٨) هو عبيد الله بن أحمد بن خرداذبه ، أبو القاسم المتوفي سنة ٢٨٠ هـ . انظر لسان الميزان ٤/٩٦.

(٢٩) أحسن التقاسيم ص ٥.

إلاّ عند الضرورة لئلا نبخس حقوقهم، ولا نسرق من تصانيفهم.

٣ ــ أقول: ولنا أن نعد هذه الفوائد القليلة التي أخذها من مصنفات الذين سبقوه مصدراً ثالثا على قلته كما أفاد.

٣ ــ خصائص الكتاب

تعليق:

وقد بسط المؤلف بين يدي القارىء خصائص كتابه وما تميز به فقال:

«وفي كتابنا هذا اختصار لفظ يدل على معان مثل قولنا: «لا نظير له» نريد أن ليس مثله بتّة مثل معنقة (٣٠) (كَذا) بيت المقدس، ونيدة (كذا) (٣١) مصر، وليمو(٣٢) (كذا) البصرة، وهذه أشياء لا يرى مثلها وإنْ كانت أجناسا.

فان قلنا: «غاية» فانها تعني في الجودة من الأجناس «مثل: إجّاص العمري بشيراز، وتين الدمشقي بالرملة، ومشمش العصلوني والريباس بنيسابور. فان قلنا ــ «جيد» فقد يكون أجود منه (٣٣) ... الطائفي، و «نيل» (٣٤) (كذا) أريحا خير منه «الزَّبيدي» (٣٥) وخوخ مكة أسرى منه «الدارقي» (٣٦).

وربما أجملنا القول وتحته شرح مثل قولنا في الأهواز: «ليس لجامعها حرمة»، وذلك لأنه أبدا مملوءٌ من الشطّار والسوقة والجهّال ... وهو بيت الشحاذين ... (٣٧).

(٣٠) وردت هذه الكلمة بتشديد النون، ولم أتبين حقيقتها، وقد استعنت بأهل العلم من إخواننا الفلسطينيين فلم يسعفوا بشيء.

(٣١) لم أتبين هذه الكلمة (نيدة) وهي من غير شك مصحفة عن شيء لم أهتد إليه، لعلها محرّفة عن نيل مصر، ولكني، أذهب ظنا إلى أنها نوع من فاكهة، وكذلك الكلمة التي سبقت «معنقة» بدلالة الكلمة الثالثة التي تلتهما.

(٣٢) أقول في «ليمو» إما أن تكون النون حذفت سهواً من الناسخ، والأصل ليمون أو «الليمو» لغة محلية دارجة.

(٣٣) أقول هذا الذي أشار إليه المصنّف في أنه «أجود منه» قد سقط من النص في الكتابة، وقد أشار في تعليقاته إلى هذا الساقط، وكيف ورد في النسخة الثانية. وكأني ألمح أنه «العنب» بدلالة الوصف «الطائفي» الذي جاء بعد الاسم الساقط، والعنب الطائفي، منسوب إلى مدينة الطائف، وهو مشهور.

(٣٤) لم أتَبيَّن «نيل» أريحا، ولكني أقول: لعله «تين» والتصحيف ممكن بين «تين» و «نيل».

(٣٥) الزبيدي «لابد أن يكون منسوباً إلى «زبيد» مدينة في اليمن.

(٣٦) والدارقي «لم أهتد إليه».

(٣٧) أحسن التقاسيم ص ٧.

وكقولنا : «ولا أعز من أهل بيت المقدس» لأنك لا ترى بها بخسا ولا تطفيفا ، ولا شربا ظاهرا ولا سكران ، ولا بها دور فسق سرا ولا اعلانا مع تعبد وإخلاص ، ولقد بلغهم أن الأمير يشرب فتسوروا عليه داره ، وفرقوا أهل مجلسه .. (٣٨) .

تعليق :

أقول لقد أشار المؤلف إلى طريقته في التعبير عن جملة من أجناس الفواكه ومقدار جودتها ، ثم تحول إلى ذكر غرائب أحوال الناس في المدن والأقاليم ، ومن هنا ندرك أن المقدسي قد تفوق على سائر البلدانيين في سعة المعارف التي أوعبها «كتابه» (٣٩) ، ومن هذا ما أشار فيه إلى أهل شيراز فقال :

« ... ومثل قولنا في شيراز ــ لا مقدار (٤٠) لأهل الطيالسة بها ، وذلك أنه لباس الشريف والوضيع والعالم والجاهل ، وكم قد رأيت بها من سكارى قد بعْثروا بطيالسهم وسحبوها . وكنت إذا استأذنت على الوزير وأنا لك مطيلس» (٤١) حُجِبْتُ إلاَّ إذا عُرِفت ، وإذا أتيت بدُرَّاعة أذن لي ــ

والمقدسي محتفل بكتابه عارف به ، مخبر عن كل ما يعرض له ، ومن ذلك قوله في التذكير والتأنيث في أسماء الحواضر : « ... وربما ذكَّرنا وأنَّثنا في ذكرة بلدة واحدة ، فالتذكير معروف إلى مصر ، والتأنيث إلى قصبة ومدينة .... وكلما قلنا : «المشرق» فهي دولة آل سامان ، فإنّ قلنا : «الشرق» أردنا أيضا فارس وكرمان والسند ، فإن قلنا : «المغرب» فهو الإقليم ، فإن قلنا : «الغرب» تبع ذلك مصر والشام ...» (٤٢) ومضى المؤلف يقول :

---

(٣٨) المصدر السابق.
(٣٩) انظر مقدمة الناشر في اللغة الألمانية إذ اشملت على فوائد جليلة.
(٤٠) أراد بكلمة «مقدار» القدر بمعنى الاحترام الذي حوله المعاصرون إلى «التقدير» تجاوزاً.
(٤١) أراد أنه ارتدى «الطيلسان».
(٤٢) أحسن التقاسيم ص ٧.

«وقد أودعناه (أي الكتاب) شيئاً من الغوامض والمعاني ليجلّ و يقلّ (٤٣) وأوردنا فيه الحجج توثّقا، والحكايات تحقّقا، والسجع تظرّفا، والأخبار تبرّكا، و بسطنا أكثره ليقف عليه العوام إذا تأمّلوه، ورتّبناه على طرق الفقه ليجل عند العلماء إذا تدبّروه ... وطوّلناه بوصف المدن لمعانٍ شتّى.

وقد ذكرنا ما رأيناه وحكينا ما سمعناه، فما صحّ عندنا بالمعاينة وأخبار التواتر أرسلنا به القول، وما شككنا فيه أو كان من طريق الآحاد أسندناه إلى الذي سمعناه.

ولم نذكر في كتابنا إلاّ صدراً مشهورا، أو عالما مذكورا، أو سلطانا جليلا إلاّ عند ضرورة أو خلال حكاية، ولوقارة ذلك أن نسميه رجلا، ونذكر محلّه لئلا يدخل في جملة الأجلّة ...

ولم نذكر إلاّ مملكة الإسلام حسب، ولم نتكلف ممالك الكفار لأنها لم ندخلها ... (٤٤).

وقد ختم هذا الذي أسماه «مقدمات وفصول لابد منها» بقوله:

«... وقد قسّمناها أربعة عشر إقليما وأفردنا أقاليم العجم عن أقاليم العرب، ثم فصلنا كور كل إقليم، ونصبنا أمصارها، وذكرنا قصباتها، ورتّبنا مدنها وأجنادها ...» (٤٥).

٤ ــ التقسيمات الإدارية:

تعليق:

أقول: يتبين لنا مِمّا تقدم أنّ التقسيمات الإدارية التي اتبعها والتي كانت سائدة في عصره هي حسب ترتيب السعة:

١ ــ الإقليم، ٢ ــ الكورة، ٣ ــ المصر، ٤ ــ القصبة، ٥ ــ المدينة، ٦ ــ الجند، وقد نجد شيئاً آخر في حشو الكتاب وهو: الناحية، والقرية، والعمل.

(٤٣) المصدر السابق ص ٨، غير أني أرى أن الفعل «يقل» إن كان صحيحا، فلا بد أن يفتقر إلى فاعل، والتقدير: «يقل قراؤهُ».

(٤٤) المصدر السابق ص ٧ ــ ٨.

(٤٥) المصدر السابق ص ٨

٥ ـــ رسم «الخرائط» (٤٦)

لعلّ المؤلف كان من أوائل من أدرك ضرورة الخرائط فاهتدى إلى رسمها كما نتبين مما يأتي :

«... ورتّبنا مدنها وأجنادها بعدما مثّلناها ، ورسمنا حدودها وخططها وحررنا طرقها المعروفة بالحمرة وجعلنا رمالها الذهبية بالصفرة ، و بحارها المالحة بالخضرة ، وأنهارها المعروفة بالزرقة ، وجبالها المشهورة بالغبرة ليقرب الوصف إلى الأفهام و يقف عليه الخاص والعام ...» (٤٧).

أقول : كأن قول المؤلف : «مثلناها» يعني أن «الخرائط» كانت مصورة ، وأنه استعمل الصور لبيان الأقسام الطبيعية ، وقد رأينا هذه الطريقة قد اتبعت ، ألا ترى أن البلخي قد فعل هذا ومثله ابن حوقل ، قال المقدسي في كلامه على أبي زيد البلخي :
«... فانه قصد بكتابه» الأمثلة وصورة الارض» ... (٤٨).
وختم المقدسي هذه «المقدمات والفصول» بذكر «الأقاليم» فقال :

«... والأقاليم العربية : جزيرة العرب ثم العراق ، ثم أقور(٤٩) ، ثم الشام ، ثم المغرب وأقاليم العجم أولها «المشرق» ثم الديلم ، ثم الرحاب ، ثم الجبال ، ثم خوزستان ، ثم فارس ، ثم كرمان ، ثم السند . و بين أقاليم العرب بادية ، ووسط أقاليم الأعاجم مفازة لابد من إفرادها والاستقصاء في وصفهما لشدة الحاجة إليهما ، وكثرة الطرق فيهما ، وأما البحار والأنهار فقد أفردنا لهما بابا كافيا لشدة الحاجة إليه والإشكال فيه» (٥٠).

---

(٤٦) لم ترد كلمة «خرائط» ذلك أنها لم تكن معروفة ، وأكبر الظن أنّها حديثة ، وكأنها تعريب كلمة «Carte» غير أنّ الذي أثبته المؤلف في شرحه يفيد مادة «الخرائط» ولذلك اجتهدت في إثباته .

(٤٧) المصدر السابق ص ٩.

(٤٨) أراد بذلك ما يسمى رسْم الخرائط تخطيطا وصورا .

(٤٩) «أقور» اسم إقليم يدل على منطقة الموصل وما جاورها من الجزيرة في غربها والجبال في شرقها وشمالها .

(٥٠) أحسن التقاسيم ص ٩ ـــ ١٠.

٦ ــ ذكر البحار والأنهار (٥١)

قال المصنف:

اعلم أنّا لم نر في الإسلام إلاَّ بحرين حسب: أحدهما يخرج من نحو مشارف الشتاء بين بلد الصين و بلد السودان (٥٢) فإذا بلغ مملكة الإسلام دار على جزيرة العرب كما مثلناه وله خلجان كثيرة وشعب عدة ...» (٥٢).

٧ ــ عود إلى رسم الخرائط

قال المصنف:

«... وقد اختلف الناس في وصفه، والمصورون في تمثيله، فمنهم من جعله شبه طيلسان يدور ببلد الصين والحبشة وطرف بالقلزم وطرف بعبّادان.

وأبو زيد جعله شبه طير، منقاره بالقلزم ... وعنقه بالعراق، وذنبه بين حبشة والصين» (٥٣) ثم أضاف: «ورأيته ممثلا على ورقة في خزانة أمير خراسان وعلى كرباسة (٥٤) عند أبي القاسم بن الأنماطي بنيسابور وفي خزانة عضد الدولة والصاحب، وإذا كل مثال يخلف الآخر، وإذا في بعضهن خلجان وشعب لا أعرفها ... (٥٥).

تعليق:

أقول: وفي هذا الباب أشار المؤلف بوضوح إلى رسم الخرائط التي اتبع فيها أسلوب التصوير، ولكنه لم يشر إلى تجربته باستعمال الألوان للتفريق بين أجزاء الصور، كما صنع هو نفسه حين جعل كل قسم في خارطته بلون خاص.

---

(٥١) المصدر السابق ص ١٠ ــ ٢٤.

(٥٢) هذا البحر هو بحر العرب أو البحر العربي، وقد نراه في كتب أخرى باسم بحر عمان، وقد عبر عنه المؤلف بـ «بحر الصين» في مواضع عدة من الكتاب وكان المؤلفون القدامى يطلقون الاسم على النهاية التي ينتهي إليها البحر أو النهر.

(٥٣) المصدر السابق ص ١٠.

(٥٤) وقول المؤلف «مثلناه» قبل أسطر أراد. صوَّرناه، و يدل على هذا قول المصنف هنا: «وقد اختلف الناس في وصفه والمصورون في تمثيله» ص ١٠، وقد أثبتنا هذا. و «الكرباسة» جريدة النخل أي السعفة التي جرد عنها خوصها.

(٥٥) المصدر السابق ص ١٠.

٨ ــ في البحر

قال المصنف :

« ... وأما أنا فسرت فيه نحو ألفي فرسخ ، ودرت على الجزيرة كلها من القلزم إلى عبادان سوى ما تَوَهَت بنا المراكب إلى جزائره ولجه .

وصاحبت مشايخ فيه ولدوا ونشأوا (٥٦) من رُبَّانيين وأشاتمة ورياضيين (٥٧) ووكلاء وتجار ورأيتهم (٥٨) مِن أبصَرِ الناس به وبمراسيه وأرياحه وجزائره ، فسألتهم عنه وعن أسبابه وحدوده . ورأيت معهم دفاتر في ذلك يتدارسونها و يعولون عليها ، و يعملون بما فيها ، فعلّقت من ذلك صدرا صالحا بعدما ميَّزْتُ وتدبَّرت ثم قابلته بالصور التي ذكرت ... » (٥٩) .

تعليق :

ونقف في قول المصنف هذا على فوائد في علم الملاحة ، وأنَّ العاملين في البحر كانوا في تلك الحقبة (أي القرن الرابع الهجري) على دراية تامة بشؤون الملاحة وأحوال البحر ، وكان لهم في ذلك كتب وخرائط ينظرون فيها و يسيرون على هديها .

عود الى المصنف :

« ... و بينا أنا يوما جالس مع أبي علي بن حازم أنظر في البحر ونحن بساحل عدن إذ قال لي : مالي أراك متفكّرا ؟ قلت : أيد الله الشيخ ، قد حار عقلي في هذا البحر لكثرة الاختلاف فيه ، والشيخ اليوم من أعلم الناس به لأنه أمام التجار ، ومراكبه أبدا تسافر إلى

(٥٦) رسمت في الكتاب «نشوا» بتسهيل الهمزة كعادته في كل مهموز ، ولا أظن هذا من صنعة المصنف ، بل هو من صنعة النسّاخ وطريقتهم في إثبات المهموز.

(٥٧) الرُّبّانيين هم جماعة ربابنة السفينة أي الملاحون وغيرهم ، ولكنني لم أهتد إلى «الاشاتمة» ولم أجدها في كتب المعرب ، ولم أقف عليها فيما تيسر من معجمات الفارسية ، ولعلها من الفارسية القديمة . وصيغة الجمع نشير إلى أن المفرد «أشتام» أو «أشتم» وفوق كل ذي علم عليم . ولعل «الرياضيين» هم أهل الفلك والناظرون في حسابات الفلك وما يصل من الرياح وغير ذلك .

(٥٨) يدل على ما افترضناه في التعليق السابق (٥٧) .

(٥٩) المصدر السابق ص ١٠ .

أقاصيه، فإن رأى أن يصفه لي صفة اعتمد عليها، وأرجع من الشك إليها فعل، فقال على الخبير بها سقطت.

ثم مسح الرمل بكفه، ورسم البحر عليه لا طيلسان ولا طير، وجعل له معارج متلسّنة، وشعبا عدة. ثم قال: هذه صفة هذا البحر، لا صورة له غيرها. وأنا أصوِّرهُ ساذجا وأدع الشعب والخلجان إلا شعبة و يلة (٦٠) لشهرتها وشدة الحاجة إلى معرفتها وكثرة الأسفار فيها، وأدع ما اختلفوا فيه، وأرسم ما اتفقوا عليه. وعلى الأحوال كلها لاشك أن يدور على ثلاثة أرباع جزيرة العرب، وأنَّ له لسانين كما ذكرنا من نحو مصر يفترقان على طرف الحجاز بموضع يسمى «فاران» (٦١) وعظم هذا البحر وامتناعه بين عدن وعمان حتى يصير اتساعه نحو ستمائة فرسخ، ثم يصير لسان إلى عبادان (٦٢).

تعليق:

أقول: وفي هذا الذي ذكره المصنف إشارة إلى معرفتهم الجيدة بالبحر ومسالكه وأنهم عرفوا تمام الصورة لشبه جزيرة العرب.

٩ ــ مراقبة الرياح في الملاحة

قال المصنف:

«... ثم فاران، وهو موضع تهب فيه الرياح من مصر والشام فتتحاذيان وفيه هلاك المراكب. ومن رسمهم أن يبعثوا رجالا يرقبون الريح، فإذا سكنت الرياح أو قلبت التي هم من نحوها ساروا، وإلا أقاموا المدة الطويلة الى وقت الفرج ثم مرسى الحوراء كثير العرى تغتر فيه المراكب عند دخوله.

ومن القلزم إلى الجار عرى صعبة من أجلها لا يسيرون إلا بالنهار والربان على

---

(٦٠) لم أهتد إلى تعيينها.

(٦١) لعله «خليج تاران» المشهور في عصرنا.

(٦٢) المصدر السابق ص ١١.

«الجخوار» (٦٣) يطّلع في البحر، فإذا ظهرت «عراة» (٦٤) صاح يمينا وشمالا. وقد رُتِّبَ صبيَّان يصرخان بذلك. وصاحب «السكان» (٦٥) بيده حبلان يجذبهما يمينا وشمالا إذا سمع النداء وإن غفلوا عن ذلك صدم العرى المركب فأعطبته ...» (٦٦).

تعليق:

ويمضي المؤلف في هذا الوصف للملاحة في اتجاهه إلى الشرق مارا بعمان مشيراً إلى المشاق الكثيرة من الأمواج وغيرها، وهو يعبر «المندم» فيقول: إنَّه «مضيق صعب لا يسلك إلاَّ في شباب الريح وقوتها» ولنعد الى المصنف في رحلته قائلا: «... ولا بد في كل مركب من مقاتلة ونفاطين، ثم مرسى عمان رديء مهلك، ثم فم السبع مضيق مخوف، ثم الخشبات التي تنسب إلى البصرة، وهي الطامَّة الكبرى، مضيق و بحر رقيق، وقد نصب في البحر جذوع عليها بيوت، وَرُتِّبَ فيها يوقدون بالليل حتى تتباعد عنهم المراكب من رقة تلك المواضع. وسمعت شيخاً يقول: وقد لحقتنا ثَمَّ شدة وضرب المركب الارض عشر مرات ...» (٦٧).

تعليق:

أقول في هذا الذي أثبت من كلام المصنف ما يشير فيه إلى جنوح السفينة بحيث لا تسير لأنها تضرب القاع من البحر في جهات منه وصفها بـ «الرَّقَّة» والوصف بالرقة من كلام العرب، ذلك أنَّ «الرَّقَّة»، بفتح الراء، تعني الأرض التي غمرها مياه النهر أو الوادي ثم انحسرت عنها فتخلف فيها الطمي ونحوه، وهذه الأرض تكون طيبة يجود فيها الزرع، ومن هنا سميت مدينة «الرقة» في أعلى الفرات.

---

(٦٣) لعل «الجخوار» هو مقدم السفينة بدلالة النص أي أنه الموضع الذي يقف فيه الربان ليراقب البحر غير أني لم أجده فيما بين يدي من مظان.

(٦٤) لم أجد «العراة» في مادة (عرو) في معجمات العربية «وكأن «العراة» الموجة العالية.

(٦٥) «السكان» وهو الكوثل في العربية القديمة، وإن ورد في شعر طرفة والفرزدق، وهو معروف في اللغة الأكدية واللغة المندائية.

(٦٦) المصدر السابق ص ١١ ــ ١٢.

(٦٧) المصدر السابق ص ١٢.

ومن الطريف أنْ نشير إلى صنعتهم في التنبيه على هذه الجهات التي يرّق فيها الماء فلا تكون عميقةً بالقدر الذي يسمح للسفن أن تمخر في البحر، وصنعتهم تكون في نصب جذوع في البحر تقام عليها بيوتٌ يرتب فيها من يتكفل بإيقاد النار في الليل لتهدي بها السفن فتبتعد عن تلك الجهات.

ولنعد فنمضي مع المصنف في رحلته قائلا:

«ولهذا «البحر الصيني» زيادات في وسط الشهر وأطرافه، وفي كل يوم وليلة مرتين، ومنه جزر البصرة ومدها إذا زاد دفع دجلة فتقلبت في أفواه الأنهار وسقت الضياع، فاذا نقص جزر الماء» (٦٨).

تعليق:

أقول: بعد أن عرض المؤلف لظاهرة المد والجزر ذكر ما يقال في سببها من الأخبار الأسطورية، وهو في هذه المسألة يقول: اختلف الناس فقال قوم: ملك يغمر فيه إصبعه...

وهكذا ينتهي من البحار المحيطة بجزيرة العرب، ومن الغريب أنّه سمى «بحر العرب» الذي يُسَمّى أحيانا بحر عمان «البحر الصيني» وليس من وجه إلى ذلك.

ونعود إلى المصنف لنعرف شيئاً آخر عن هذه المسالك البحرية، قال:

«والبحر الآخر خروجه من أقصى المغرب بين السوس الأقصى والأندلس يخرج من المحيط عريضا ثم ينخرط ثم يعود فيعظم إلى تخوم الشام. وسمعت بعض مشايخ المغرب يفسِّر هذه الآية» ربُّ المشرقين ورب المغربين «قال: المغربان...» (٦٩).

تعليق:

أقول: بعد أن انتهى المصنّف إلى ما شاهده، ثم تحوَّل إلى شيء آخر لم يحط به علما عن طريق المشاهدة حاول أن يستعين بأقوال مِمَّا يتداوله الناس، أو أنّه عرفها في كتب مَن

(٦٨) المصدر السابق ص ١٢ - ١٣.
(٦٩) المصدر السابق ص ١٤.

تقدمه كابن الفقيه مثلا ، وهو هنا كما أخبرنا عن منهجه يسند الأقوال إلى أصحابها حين لا يجد أنها تقطع الشك.

وأما قوله : «البحر الآخر» فهو البحر الأبيض المتوسط في المعرفة الحديثة . على أنّه سمي أيضا بحر الساحل العربي «بحر فارس» نقلا عما سمع فقال : «... ألا ترى إلى كثير من الناس يسمّونه إلى حدود اليمين بحر فارس ، وان أكثر صناع المراكب وملاحيها فرس ، وهو من عمان إلى عبّادان ، قليل العرض ، لا يجهل فيه المسافر جهته ...» (٧٠).

ثـم يتحول إلى أنهار هذه البلاد الفسيحة ما كان منها في بلدان عربية ، وأخرى في بلاد أعجمية ، وهي اثنا عشر: دجلة، والفرات والنيل وجيحون ونهر الشاشر وسيحان وجيحان و بَرَدان ومهران ونهر الرس ، ونهر الملك ونهر الأهواز... ودونها خمسة عشر أخرى : نهر المروّ ين ونهر هراة ونهر سجستان ، ونهر بلخ ونهر الصغد ، وطيفوري وزندّرود ، ونهر العباس ، و بَرَدى ، ونهر الأ ردن ، ونهر انطاكية ، ونهر أرجان ، ونهر شيرين ، ونهر سمندر. ثم ما يعدهن صغار نذكر بعضهن في الاقليم مثل نهر طاب ، والفهروان ، والزاب ونظائرهن. فأما دجلة فانها ... (٧١) على أنَّ كلامه في هذا لا يخلو من الأخبار ذات اللون الأسطوري ، وهو في هذا يعتمد على الأَسانيد ليبعد عن نفسه ما ورد فيها مما لم يوح بالثقة.

و ينتهي المصنف من البحار والأنهار و يعقد في «ذكر الأسامي واختلافها» (٧٢) وهو في باب المتفق والمختلف من الأسماء . ولنجتزىء بمثل ليهتدي فيه القارىء : «... السوس كورة بأقصى المغرب ، ومدينة بأوله ، وأخرى بهيطل ، وكورة بخوزستان ، و بالمغرب سوسه ...» (٧٣).

---

(٧٠) المصدر السابق ص ١٨.
(٧١) المصدر السابق ص ١٨ ــ ١٩.
(٧٢) المصدر السابق ص ٢٤ ــ ٣٢.
(٧٣) المصدر السابق ص ٢٤.

أقول: وبعد هذه المسيرة مع المصنف من أول كتابه إلى نهاية الصفحة (٣٢) سأتبع سير الكتاب فأذكر الفوائد التي ينبغي أن أقف عليها في كل اقليم.

ولا يفوتني هنا أن أذكر من هذه الفوائد في هذا الفصل الذي عقده على «ذكر الأسامي واختلافها» فأقول: ذكر المصنف اختلاف البلدان في الكلمات ذات الدلالة الواحدة فقد قال:

«وأما الأشياء التي يختلف فيها أهل الأقاليم فهي مثل: لحّام جزّار قصاب، كرسف عطب قطن، (٧٤) قطّان حلاج البزّازين الكرابيسين الرهادنة (٧٥) جبّان طباخ بقال، فامي تاجر، (٧٦) ميزاب مرزاب مزراب مثعب (٧٧)، باقلّى فول، قدْر بُرمة، موقدة أثافي (٧٨) زنبيل مِكْتَل قفّة، سِفْل مِركَن إجّانة، تَغار (٧٩) قِنطار بهار، مَنْ رَطْل حبّة طسُّوج (٨٠) خادم قيّم مُفرّك بلاّن (٨١) شمشك صندل (٨٢) حصن قلعة قهندز كَلات (٨٣)، صاحب ربع مصلحة مَسْلحة، صاحب الطريق (٨٤) عشّار مكّاس

(٧٤) الكرسن والعطب كلاهما القطن.

(٧٥) الكرابسي بائع الثياب، والثوب هو الكرباس والكرباسة، بالكسر، الثوب معرب، فارسي الأصل وأما الرهادنة فكأنها جمع رهدون أو رهدان أو رهدك، ولم أجدها بهذا المعنى للبائع، والرهدن في فصيح العربية الأحمق.

(٧٦) الفامي في فصيح العربية السكّري، غير أني وجدته بمعنى بائع البقل الجاف ونحوه في العربية المتأخرة.

(٧٧) الميزاب والمزراب والمرزاب والمثعب كلها بمعنى أي ما يسيل منه الماء في البيوت، وقال ابن السكيت هو المئزاب بالهمز ولا يقال «مرزاب» وكذلك قال أبو حاتم.

(٧٨) وقد يكون للمقدسي أن يستعمل اللفظ القديم البدوي إلى جانب الحضري كالأثافي والموقدة.

(٧٩) التغار هو الاجّانة، ذكره أدي شير في كتاب الالفاظ الفارسية المعربة.

(٨٠) االبُهار هو الحِمل، وقيل ثلثمائة رطل بالقبطية، وقيل أربعمئة أو ستمئة... انظر «لسان العرب» و«الطسُّوج» معرب والفارسي فيه «تاسوك» في الفارسية الوسطى و«تاسو» في الفارسية الحديثة، وهو ربع الدانق... انظر «برهان قاطع».

(٨١) أصل «البلاّن» هو الحمّام. وفي «النهاية» لابن الأثير الحديث: «ستفتحون بلاداً فيها «بلاّنات» أي حمّامات. قال ابن الأثير: الأصل «بلاّلات» أقول، ولعلها استعيرت في العربية الدارجة للعامل في الحمّام وهو «المفرّك» والكلمة شامية وما زالت معروفة، يقابلها في عامية أهل العراق: دلاّك.

(٨٢) لم أجد «شمشك» في كتب المعرب، وكأنها تركية. وأما «الصندل» لضرب من النعال فهو في الألسن الدارجة، والصندل في المعرب خشب أحمر أو أصفر طيب الرائحة.

(٨٣) لم أجد «القهندر» بالراء أو الزاي بمعنى الحصن و«الكلات».

(٨٤) صاحب الطريق هو المكلف بحراسته واستيفاء المكس ونحو ذلك، ومثله: عشار ومكاس ومرصدي.

مرصدى (٨٥)، مخاصم خصيم، حاكم قاض، وكيل جري (٨٦)، شيرج سليط (٨٧)، زجّاج قواريري، صفع صك (٨٨) بقعة موضع، قِطّة دمّة هِرّة سنّوْر (٨٩) معلم خادم أستاذ شيخ خَصِيّ (٩٠) دَبّاغ صرام (٩١)، أدمَيّ سختياني جلودي، فاعل روزكاري (٩٢) رستاقي سوادي (٩٣)، زرّاع فلاّح حرّاث، فندق خان تيم (٩٤) دار التجّار، مرزبة أكلة (٩٥) حبل قَلْس (٩٦) وتدكنورا (٩٧)، ... (٩٨) لص مشوشا (٩٩)، جَنْحتَ ولْجت، أنْقِض زور(؟) (١٠٠)، قف هلي (١٠١) (؟) هيارا جماعة (١٠٢)، لكبشا كثير(١٠٣) أقول: وسنعقب هذه الألفاظ تعليقاتنا عليها في الهوامش.

وأعقب المصنف هذه الطائفة من الألفاظ غير المتجانسة التي اتفقت له سماعا من غير نظام، طائفة أخرى من ألفاظ الفلاحة والملاحة من أسماء السفن والمراكب وما يتصل بها من ألفاظ وهي كما يأتي:

---

(٨٥) انظر «صاحب الطريق».

(٨٦) الجري: من معانيه الوكيل وهو من الكلم الفصيح.

(٨٧) الشيرج للزيت معرّب «شيره» الفارسي، وهو «السيراج» أيضا بالسين، والسليط الزيت، ورد في شعر امرىء القيس في مطولته.

(٨٨) الصفح والصك هو الصرب. عربي فصيح.

(٨٩) السنور معروف في الفصيح القديم، والهرّ كان مؤنثا في العربية القديمة، ولفظ «دِمَّة» في العربية الجنوبية من «دمت، الحبشية».

(٩٠) أشار المقدسي في الكتاب إلى أنَّ الأخصياء قد سموا بهذه الألفاظ لأنهم تولوا التأديب والتعليم، وقد ذكرنا هذه الفائدة تعليقا من الكتاب.

(٩١) لم أجد «الصرّام» بمعنى الدّبّاغ.

(٩٢) الروزكاري كلمة أعجمية عرفت في العربية العباسية بمعنى البائع المتجول. انظر «صبح الأعشى» ج ٤.

(٩٣) الرستاقي هو المنسوب إلى الرستاق، والرستاق هو القرى والسواد، معرب «رسته».

(٩٤) لم أهتد إليه بمعنى «الخان» وأمّا «الخان» فكلمة فارسية عربّها العرب فقالوا: حَان أو حانة.

(٩٥) لم أهتد إلى المرزبة.

(٩٦) القلس في السفينة هو الحبل، وهو من الاغريقية.

(٩٧) كنورا لا أعرفه ولعله سرياني اعتماداً على الألف في آخره.

(٩٨) فراغ في الأصل.

(٩٩) مشوشا كأنه سرياني بمعنى اللص.

(١٠٠) كذا في الأصل.

(١٠١) كذا في الأصل.

(١٠٢) هيارا: لا أعرفها ولعلها من السريانية.

(١٠٣) لكبشا: كسابقتها.

زرنوق دولاب حنّانة ، دالية كرمة ، مسحاة مجرفة معول فأس ، صاعدا زقاقا (؟) ، (١٠٤) منحدراً شبلا (؟) (١٠٥) طاروس شرته ، سكّان رِجْل (١٠٦) رُبّان رأس ، ملاّح نوتي ، ساحل شط ، رقعة بطاقة ، روحه نفسه (١٠٧) ، سفينة جاسوس زورق ، رقية تلوّى عرداس طيار زبزب كاروانية مثلثة واسطية ملقوطة شنكولية بُراكية خيطية شموط مسيحية جبلية مكية زَبَر باذية بركة سوقية معبر وجية طيرة برعاني شبرق مركب شذا برمة قارب دونيج حمامة شيني شَلَندى بيرجه (١٠٨) .

ثم ختم المصنف هذه الطائفة من الألفاظ بقوله : « ... ونحو هذا كثير ، وإن استوعبنا ، طال الكتاب ، وسنتكلم في كل إقليم بلسانهم ونناظر على طريقتهم ونضرب من أمثالهم لتعرف لغتهم ورسوم فقهائهم ، فإن كنا في غير الأقاليم في مثل هذه الأ بواب تكلمنا بلغة الشام لأنها إقليمي الذي به نشأت ... (١٠٩) .

و يعقد المصنف فصلا في « ذكر الخصائص في الأقاليم » ، (١١٠) وهو يمضي في سرد ما اشتهر به كل إقليم على طريقة التفضيل كأن يقول : أظرف الأقاليم العراق وهو أخف على القلب ، وأحدُّ للذهن ... وأوسعها فواكه ، وأكثرها علماء وأجلّة ... وهكذا يمضي في هذا النهج القائم على ملاحظاته الشخصية التي لا تخلو مِمّا ندعوه انطباعات ذاتية . على أنه في هذا الفصل ينظر في الكتب التي عرض فيها أصحابها لجزيرة العرب وللبلدان كافة ، ومن أجل ذلك يذكر الأصمعي والجاحظ وغيرهما .

(١٠٤) و (١٠٥) كلمتان كأنهما سريانيتان ، وهما مما هو شائع في العربية المحلية . وهما لأعلى النهر ولأسفله .

(١٠٦) و « شرته » هي الريح المساعدة (انظر حكاية أبي القاسم ص ١٠٨) هذا في العراق ، « طاروس » في بلاد أخرى لعلها « الشام » و « سكان » جاهلية قديمة وهي من اللغة المندائية ، ووردت في الأكدية « سكان » بالكسر . وكلمة « رجل » في بلاد المغرب .

(١٠٧) أقول : لعلّ الصواب « روحه » و « نفسه » .

(١٠٨) مجموعة من الألفاظ للدلالة على المراكب النهرية كالزوارق وغيرها . انظر « العربية ليوهان فك ص ١٩٥ .

(١٠٩) المصدر السابق ص ٣٠ - ٣٢ .

(١١٠) المصدر السابق ص ٣٢ - ٣٦ .

و يعقد فصلا في «ذكر المذاهب والذمة» (١١١)، يتحدث فيه عن المذاهب والفرق الإسلامية. ولا يخلو هذا الفصل من كلام على أصحاب القراءات كما عرض للمحدثين.

و يتحدث في ثلاث صفحات عن طريقته في الوصول إلى مادة الكتاب (١١٢) فيقول :

«اعلم أنَّ جماعة من أهل العلم ومن الوزراء قد صنفوا في هذا الباب وإنْ كانت مختلة، غير أن أكثرها بل كلها سماع لهم ... فلم يبق إقليم إلاَّ وقد دخلناه، وأقل سبب إلاَّ وقد عرفناه. وما تركنا مع ذلك البحث والسؤال في الغيب فانتظم كتابنا هذا ثلاثة أقسام : أحدها ما عايَنّاه، والثاني ما سمعناه من الثقات، والثالث ما وجدناه في الكتب المصنّفة في هذا الباب وفي غيره، وما بقيت خزانة ملك إلاّ وقد لزمتها ... ولا مذاهب قوم إلاّ وقد عرفتها، ولا أهل زهد إلاّ وقد خالطتهم ...».

تعليق :

أقول : إن هذا الفصل في جملته يصح أنْ يكون «سيرة ذاتية» للمصنف، ذلك أنه قال : ما ترك جماعة من أهل العلم أو من أهل الشر كالطرّارين العيّارين وغيرهم.

وتحول إلى فصل قصير أحصى فيه ما يدخل في كل بلد من الحواضر، وهو يقول مثلا :

وأمّا نحن فجعلنا «المصر» كل بلد حله السلطان الأعظم، وجمعت إليه الدواوين، وقلّدت منه الأعمال وأضيف إليه مدن الإقليم مثل دمشق والقيروان وشيراز. وربما كان للمصر أو القصبة نواح لها مدن مثل طخارستان لبلخ، والبطائح لواسط والزاب الافريقية، فالأقاليم أربعة عشر، ستة عربية : جزيرة العرب ثم العراق ثم أقور ثم الشام ثم مصر ثم المغرب، وثمانية عجمية : المشرق ثم الديلم ثم الرحاب ثم الجبال ثم خوزستان ثم فارس ثم كرمان ثم السند.

---

(١١١) المصدر السابق ص ٣٧ - ٤٣.
(١١٢) المصدر السابق ص ٤٣ - ٤٥.

ولا بدّ لكل إقليم من كور ثم لكل كورة من قصبة ، ثم لكل قصبة من مدن إلاّ الجزيرة والمشرق والمغرب فإنَّ لكل واحد مصرين ، والمصر قصبة كورنة ، وليس كل قصبة مصرا ... (١١٣) .

أقول : كأن «المصر» يقابل العاصمة في عصرنا ، يدل على هذا قوله : مكة مصر هذا الإقليم (أي جزيرة العرب) (١١٤) ثم يبدأ المصنف في ذكر الأقاليم و يبدأ هذا بمقدمة في الجغرافية الطبيعية أو هي خليط من معلومات فلكية وعلاقتها بأحوال المناخ ونحو هذا (١١٥) .

فهو يقول :

فأما الأرض فإنها كالكرة موضوعة جوف الفلك كالمحّة جوف البيضة ، والنسيم حول الأرض ، وهو جانب لها من جميع جوانبها إلى الفلك ... والأرض جاذبة لما في أيدي الخلق من الثقل ... والأرض مقسومة بنصفين بينهما خط الاستواء ، وهو من المشرق إلى المغرب ، وهذا طول الأرض ... وعرض الأرض من القطب الجنوبي الذي يدور حوله سهيل إلى الشمال الذي يدور حوله بنات نعش . فاستدارة الأرض موضع خط الاستواء ثلاث مئة وستون درجة ، والدرجة خمسة وعشرون فرسخا ، فيكون ذلك تسعة آلاف فرسخ . و بين خط الاستواء وكل واحد من القطبين تسعون درجة ... (١١٦) .

ثم يقول :

الإقليم الأول ثمانية وثلاثون ألف فرسخ وخمس مئة فرسخ ، وعرضه ألف وتسع مئة وخمسة وتسعون فرسخا أوله حيث يكون الظل نصف النهار إذا استوى مع الليل قدما واحدة ونصفا وعشرا وسدس العشر قدم ، وآخره في هذا الوقت قدمان وثلاثة أخماس ...

---

(١١٣) المصدر السابق ص ٤٧ .

(١١٤) المصدر السابق ص ٧١ .

(١١٥) المصدر السابق ص ٥٨ .

(١١٦) المصدر السابق ص ٥٨ ــ ٥٩ .

والإقليم الثاني : أوله حيث يكون الظل ... (١١٧)

أقول : وهكذا يعرض هذه البسطة الطبيعية للأقاليم كلها ، ثم يخلص من هذا كله الى فصل في «مملكة الاسلام» ، فيعرض لحدودها ولمساحتها وما تشتمل عليه من أقاليم . و يبدأ هذه «المملكة» بـ «جزيرة العرب» وهويبدأ بجغرافية البلاد طبيعة و بيئة وحدودا ، ولا نعدم أن نجد فيها مادة تاريخية ولا سيما في «مكة» و «البيت الحرام» لقد أورد ما في مكة والمدينة من المشاهد وما فيها من الآبار ونحوذلك و يتحول من هذا إلى ذكر المدن المهمة ، فيتحدث عن مدينة الرسول ، ثم يتحول عن الحجاز إلى اليمن فيبدأ بقصبة ز بيد ، و يتحدث عن مخاليف اليمن . وهوفي هذا العرض يصل الجغرافية الطبيعية بالتاريخ كما يتحدث في شيء مما يتصل بالزراعة وما يضطرب فيه الناس من نشاط ، وجمله هذا يدخل في باب الجغرافية الاقتصادية .

ويختم كل إقليم بنبذه عن المناخ وصلة الناس به ، وكيف يتحكم المناخ في الناس وطبائعهم ومعاشهم وخلقتهم ، وهويثبت هذا تحت عنوان «جمل شؤون هذا الإقليم» .

و يتحدث عن المسافات فيقيسها بالمراحل ، والمرحلة ستة فراسخ وسبعة و يقول : فإن زادت نقطنا على الهاء (أي هاء مرحلة)نقطتين ، فان نقصت عن الستة نقطنا فوق الهاء نقطة (١١٨) .

و يتحول إلى إقليم العراق فيبدأ بذكر المناخ وكذلك يفعل في الكلام على كل إقليم و يتحول منه إلى ضبط المساحة وحدودها ، وفيه أنَّ الكوفة والبصرة فواسط فبغداد فحلوان فسامرا قصبات .

فأما الكوفة فمن مدنها حمّام ابن عمر ، الجامعين ، سوراء النيل ، القادسية ، عين التَمر ، وأما البصرة فمن مدنها الأ بلة ، شق عثمان ، ز بان ، بدران ، بيان ، نهر الملك ،

(١١٧) المصدر السابق ٥٩ .

(١١٨) المصدر السابق ص ١٠٦ .

دُبّا، نهر الأمير، أبو الخصيب، سليمانان، عبّادان، المطوعة، الفندل، المفتح، الجعفرية. وأما واسط فمن مدنها فم الصلح، درمكان، قراقبة، باباذبين، العّكر، الطيب، قزقوب، قرية الرمل، نهر تيركي، لهبان، بسامية، أودسة. وأما بغداد فمن مدنها النهروان، بردان، كارة، الدسكرة، طراستان، هارونية، جلولاء، باحرى، باقية، اسكاف، بوهرز، كلواذي، كرزيجان، المدائن، ثيل، سِيب، دير العاقول، النعمانية، جرجراب، جبُّل، نهر سائس، عبَرتا، بابل عبدَس، قصر هبيرة.

أما حلوان فمدنها خانقين، زبرجان، شلاشان، الحامد، الحُرّ، السَيروان، بندنيجان. واما سامرا فمن مدنها الكرخ، عكبرا، الدور، الجامعين، بيت راذاناك، قصر الجبص، جوى، أبوانا، بريقا، سندية، راقفروبة، دممّا، الأنبار، هيت، تكريت، السن ... (١١٩).

ثم يبدأ بالكلام على كل قصبة فيبدأ بالكوفة فالبصرة ... و يصف فيها المعالم المهمة كالأسواق والمساجد وما فيها من خيرات.

وقد أكثر القول في بغداد منذ تمصيرها إلى أن أصبحت مصر الإسلام و بها مدينة السلام، وهي مركز العلم ... ومن الطريف أنه تكلم على حلوان وأشار إلى أصقاعها ودروبها فقال:

درب بغداد، درب برقيط درب اليهودية ... وثم كنيسة اليهود يعظمونها خارج البلد من الجص والحجارة، و بيت المقدس أكبر وأجل وأعمر وأظرف وأكثر مشايخ وعلماء منها (كذا).

أقول: ما وجه أن يأتي هنا ببيت المقدس، ربما كان قد سقط من النص شيء؟

ويختم هذا الإقليم (أي العراق) كعادته بـ «جمل شؤون هذا الإقليم» يتكلم فيه بإسهاب عن المناخ فذكر مناخ بغداد ثم قال: وقرأت في أخبار البصرة: عيشنا في البصرة

(١١٩) المصدر السابق ص ١١٤ – ١١٥.

عيش ظريف، إن هبت شمال فنحن في طيب وريف وان كانت جنوب فانا في كنيف (١٢٠).

وفي هذا الفصل وهو «جمل شؤون الإقليم» يتكلم على ثروة المدن وتجارتها وما يرتفع منها من خيرات وما تشتهر بها من معالم وصناعات، ويختمه بقوله: «ومن رسومهم» أي عادتهم في الملبس إلى صناعاتهم المشهورة. وهويشير إلى مياه البصرة فيقول: «... وأما الماء الملاصق لها فغير حلو ولا طيب، و يقال فيه ثلثه ماء البحر وثلثه ماء الجزر، وثلثه ماء الحجر (كذا) لأنَّ الماء إذا جزر شمَّرت شطوط الأنهار فيلذ الناس عليها ثم يقبل المد فيحمل تلك البلا ذات (١٢١) وإذا هبت الجنوب سخن الماء ... (١٢٢).

و يتكلم على الخراج، ويحسب على الأرض مقدرة بالطاسيج (١٢٣).

حتى إذا انتهى من إقليم العراق تحول إلى اقليم أقور، وهوبلاد الموصل وما جاوره و يقول: الموصل هو مصر هذا الإقليم ... (١٢٣).

ثم ينتهي من هذا الإقليم وهو ماضٍ في منهجه فيتحول إلى «إقليم الشام» و يتكلم عليه فيعرض لما عرض له في الأقاليم السابقة، ثم يأتي إقليم مصر ثم إقليم المغرب.

وكأن الكتاب جزءان: الأول في أقاليم العرب وقد أتينا عليها، والثاني في أقاليم العجم من البلاد الإسلامية.

---

(١٢٠) أقول: هذه العبارات تشير إلى قول ابن لنكك البصري:
نحن بالبصرة في لون من العيش ظريف
نحن ما هبَّت شمالٌ بين جنات وريف
فاذا هبت جنوب خِلْتَ أنَّا في كنيف
انظر «البصرة» في معجم البلدان

(١٢١) ما احتمله الماء من الغثاء والزبد وغيره، ولم أجدها في «المعجمات»، ولعلها من الفارسي الذي لم يذكر في كتب «المعرّب».

(١٢٢) المصدر السابق ص ١٣٠.

(١٢٣) المصدر السابق ص ١٣١ ــ ١٤٢.

ملحق في الفوائد التاريخية

استعمل المقدسي كلمة «أثام» وهي الخطيئة، لتفيد الخمر (الصفحة ٤١٠ السطر ٥).
واستعمل «الدقال»، وهي القلاع، وأراد بها السفن (ص ٤٥٩ س ١٥).
وقد دفعه الى هذا التزام السجع في إنشائه.

وهو حين يقول «لغة الأقاليم» يريد بها لغة المثقفين وليس لغة عامة الناس الدارجة وذلك لأنه أشار الى أن أصح العربية ما يتكلم بها في «المشرق» وهو الإقليم اللغوي الفارسي لأنهم يتكلفونها تكلفا و يتعلمونها تلقفا (ص ٣٢ س ٨).

و يقول: إن أصح العربية في جزيرة العرب عند هذيل، ثم في قسمي نجد، ثم بقية الحجاز، في حين ينعت لغة بلاد السواحل (الأحقاف) بأنها وحشة (ص ٩٦ س ١١ — ٩٧ س ٢).

وهو يصف عربية أهل العراق بأنها حسنة فاسدة أي أنها جميلة الإيقاع ولكنها لا تساير نحو العربية (ص ١٢٨ ص ٧ - ٩ و يقول (ص ١٨٣ س ٥): وكنت إذا حضرت مجلس قاضي القضاة ببغداد أخجل من كثرة ما يلحن، ولا يرون ذلك عيبا و يرى أنَّ لغة أهل الكوفة أصح لقربها من البادية و بعدهم عن النبط، فأما البصرة فانها منذ استيلاء الزنج عليها سنة ٢٥٧ هـ قد تأثرت كثيرا، وقد أشار إلى لغة أهل البطائح وركاكتها (ص ٣٢ ص ٩، ص ٣٤ ص ١٦).

وأشار إلى أن عربية إقليم ما بين النهرين كعربية العراق حسنة الإيقاع، مخالفة لقواعد العربية (ص ١٤٦ س ٢ - ٣) ولكنها على كل حال أصحُّ من عربية سورية، لأن سكان ما بين النهرين عرب بدو في الأعم الأغلب، كما تدل على ذلك أسماء المواضع: ديار بكر، ديار ربيعة، ديار مصر. وهو يشيد بلغة أهل الموصل في حين أنه نبذ لغة أهل صيدا في بلاد الشام فقال: إنَّها أوحش اللغات (ص ٣٤ ص ١٥).

وأشار إلى عربية أهل مصر مع وجود القبطية التي هي لغة الأَقباط النصارى (ص ٢٠٣ س ٥).

غير أنَّ هذه العربية ركيكة رخوة لا مراعاة فيها لقواعد النحو العربي، وفي مصر يختار الكتاب من النصارى لأنهم أهل ثقافة (ص ١٨٣ س ٥).

و يصف لغة أهل المغرب فيقول : انها منغلقة عسيرة الفهم (ص ٢٤٣ س ١٠).

وقد أشار إلى جملة من أسماء المراكب والسفن وقد أشرنا إليها مع ألفاظ خاصة بالملاحة البحرية واصطلاحات تتصل بالمكوس والمقاييس والموازين والمكاييل والخانات والفنادق والعبيد والخدم والمراتب المختلفة والأسواق والمتاجر والتجار والبضائع والأقمشة والثياب والنعال وما إليها والنباتات والحيوانات مع قائمة تشتمل على ٤٩ صنفا من أجناس التمر و ٢٤ نوعا من سمك دجلة يجلب إلى سوق البصرة (ص ١٣٠ ملحوظة أ).

ولا يفوته رَطانة الصيادين وعجلات الري والسقي والقنوات ومجاري المياه، واصطلاحات الإدارة والحكم (ص ٣٢) وأشار إلى الفروق في أسماء المقاييس والموازين والنقد، فمثلا يوجد لفظ «منّ» (Minc) في جميع بلاد الإسلام و يساوي رطلين، إلاَّ في مكة فانه رطل واحد (ص ٩٩ س ٤).

وأصغر النقد في كل مكان عاده لفظ «حبّة» واسمها في عمان «طسوة» وهذا من اتصالهم بالفرس (ص ٩٩ س ١٤) وكلمة «طسّوة» هذه هي «تاسوك» في الفارسية الوسطى و «تاسو» في الفارسية الحديثة وقد عربّها العرب فقالوا «طسوج» لربع الدانق. وقد استعملت في مساحة الأرض وقد أشرنا إلى هذا خلال البحث.

وذكر المقدسي من وسائل السقي والري إلى جانب لفظ : دولاب الفارسي لفظ حنّانة العربي وكذلك زرنوق، وهو آرمي.

وفي خوزستان تسمى السواقي (أي عجلة الماء) نواعير جمع ناعورة أو ناعور، واللفظ آرامي (ص ٤١١ س ١١). و يستعمل أهل الشام «قرباتي» لساكن الريف (ص ١٧٣ س ٦). ولفظ «رستاقي» نسبة إلى «رستاق» والأصل «رستاك» في الفهلوية (ص ٤٧١ س ١١).

والأثافي والموقدة مما يرد في استعمال المقدسي، غير أنه استعمل أيضاً «ديكدان» الفارسي في وصف بناء سد يأجوج ومأجوج، وكأنه أراد استعمال ما هو جار في تلك الجهة (ص ٣٦٤ س ١٣).

وقد تحول لفظ «خَصي» القديم الذي لا يخلو من النبز إلى لفظ «خادم» ولما كانت التربية للأحداث مما يضطلع بها «الخصي» خوطب الأخصياء بلفظ «المعلم، والأستاذ، والشيخ» تأدُّبا، وهكذا يتحدث المقدسي مع «عُريب» الخادم عن أمر الخدم و يوجه إليه الخطاب بلفظ «المعلّم» كما استعمل هذه الألفاظ للدلالة على «الخصيّ» (ص ٢٤٢ س ١٣).

ويحسن هنا، أن نورد كلام المقدسي مع عُرَيب، قال:

وسألت عريب الخادم وكان من أهل العلم والصدق فقلت: أيها المعلم أخبرني عن أمر الخدم، فإن العلماء قد اختلفوا فيهم، وأبو حنيفة يجعل لهم فراشا و يلحق بهم ما تلد نساؤهم، وهذا علم لا يستفاد إلاَّ منكم، قال: صدق أبو حنيفة رحمه الله ــ وسأخبرك بحالهم.

اعلم أنهم إذا قربوا للاختصاء شق الخصوتان (كذا) فأخرجت البيضتان فربما فزع الصبي فصعدت إحدى البيضتين الى جوفه، وطلبت فلم توجد في الوقت ثم تنزل بعدما التحم الشق، فان كانت اليسرى كانت له شهوة ومني، وإن كانت اليمنى خرجت له لحية مثل فلان وفلان، فأبو حنيفة ــ رحمهُ الله ــ أخذ بقول النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ «الولد للفراش» وجاز أنْ يكون من الخدم الذين بقبضتهم وذكرت قوله لأ بي سعيد

الجَوري بنيسابور قال: قد يجوز هذا لأن أحد بيضتي الرجل صغيرة وكانت لحيته نزرا خفيفة، وإذا خصوهم جعلوا في منفذ البول مِرودَ رصاص يخرجونه أوقات البول إلى أنْ يبولوا كي لا يلتحم (ص ٢٤٢ــ٤٣).

أقول: وهذه الصنعة التي مارسوها للاختصاء تقابل عملية جراحية في عصرنا.

ونفيدُ مما ذكر المصنف عرضا أن الحديقة قد أطلق عليها الأندلسيون لفظ «منية»، وأن الإقليم عندهم يفيد الريف (ص ٢٣٥ س ٦).

وقد مرّ بنا أن المقدسي قد استعمل ألفاظا أعجمية في التعبير عن المحال التي يأوى إليها المسافرون، فيجدون فيها ما يحتاجون إليه من حاجاتهم كالمتاجر. ونحوها علاوة على أنها أمكنة يبيتون فيها كلفظ «فندق» المأخوذ من اليونانية «ياندكيون» وهذا في الجهات التي كانت متأثرة بالتأثير البزنطي نحو سورية ومصر و بلاد الشمال الافريقي، في حين نجد لفظ «خان» في بلاد فارس، ولفظ «تيم» فيما بين النهرين، وهو يستخدم دار التجار أيضا وقد عرض لغير العربية حين تدعوه الحاجة إلى الاشارة (ص ٣٣٤ س ٧، ٣٣٦ س ١، ص ٣٦٨ س ــ ١١، ص ٣٩٨ س ٧ ــ ١٠، ص (١ ــ ١١، ص ٤٨٢ س-٩).

وهو يقول: إنَّ لغة نيْسابور فصيحة مفهومه ولكنهم يكسرون أوائل الكلم (علامة الفعل الأولى: بــ) مثل بيشَوْ أي «كُنْ»، و يزيدون السين بلا فائدة مثل «بِكُفْلسي» (ص ٣٣٤).

و يعد لسان طوس ونسا أحسن لسان، وكذلك لسان بُسْت، وفي كلام سجستان تحامل وخصومة يخرجون الكلام من صدورهم ويجهرون فيه. ولا بأس بلسان المرو ين غير أن فيه تحاملا وطولا ومدا في أواخر الكلم، ألا ترى أن أهل نيْسابور يقولون: براى أين، وهم يقولون: بترون اين، من أجل هذا، فقد زادوا حرفا فتأمل هذا الضرب تجده كثيرا.

ولسان بلخ أحسن الألسن إلا أن لهم فيه كلمات تستقبح. ولسان هراة وحش ...

وسمعت بعض أصحاب المعداني يقول : أمر بعض ملوك خراسان وزيره أن يجمع رجالا من خمس كور خراسان التي هي الأصول ، فلما حضروا تكلم السجستاني ، فقال الوزير : هذا لسان يصلح للقتال ، ثم قال النيسابوري فقال : هذا لسان يصلح للتقاضي ، ثم تكلم المروزي فقال : وهذا لسان يصلح للوزارة ، ثم تكلم ، البلخي فقال : وهذا لسان يصلح للرسالة ، فلما تكلم الهروي فقال : وهذا لسان يصلح للكنيف (ص ٣٣٤ــ ٤٣٥) . فهذه أصول ألسنة خراسان ، وغيرها تبع لها ومشتق منها ، وراجع اليها ، فلسان طوس ونسا قريب من النيسابوري ، ولسان سرخس وابيورد قريب من لسان مرو ، ولسان «غرج الشار» بين لسان هراة ومرو ، ولسان جورجان بين المروى والبلخي ، ولسان البامبان وطخارستان قريب من البلخي إلاَّ أنَّ فيه انغلاقا ، ولسانْ خوارزم لا يفهم ، وفي لسان النحاريين تكرار ، ألا ترى كيف يقولون : يكي أدرمي ، وغيرهم يقول : أعطيت ادرمي وقس عليه . و يكثرون قول : «دانستي» في خلال كلامهم بلا فائدة ، غير أنها «دِرْية» وإنما سمي ماجانسها دِريّا لانها اللسان الذي تكتب به رسائل السلطان ، وترفع بها اليه القصص . واشتقاقه من «الدر» ، وهو الباب ، يعني أنه الكلام التي يتكلم به على الباب (المصدر نفسه) وأهل سمرقند يستعملون الحرف الذي بين الكاف والقاف ... ولسان الشاش أحسن ألسنة «هيطل» .

وللصغد لسان على حدة يقاربها ألسنة رساتيق بخارى ، وهي مختلفة جدا مفهومة عندهم . وقد وصف لسان كل من قومس وجرحان بالحلاوة ... (المصدر نفسه) .

وقال ، المصنف في الكلام على قومس وجرجان :

«... ولهم مجالس في السكك والأسواق مرتفعة يجتمعون بها ، بأيديهم الزوبينات ، وعليهم الأكسية الصبرية ، يسمون العالم معلما ، وربما تعلقوا بي وقالوا : لوك معلم ، واللوك هو الجيد ... (ص ٣٦٩س ٤) وأشار إلى أنَّ لسان طبرستان فيه عجلة ، وأن لسان الديلم منغلق ، وأشار إلى استعمال الخاء في الجيلانية ، وأما الخنزرية فهي عسيرة الفهم ... (ص ٣٦٨) .

ووصف المقدسي اللغة في خوزستان فقال : إنهم يمزجون بين العربية والفارسية إذ أنهم يحسنون اللغتين ، وأحسن ما تراهم يتكلمون بالفارسية حتى ينتقلوا إلى العربية (ص ٤١٨ س ١ ــ ١١).

وقال : إن الكرمانية تشبه الخراسانية ، وهي سهلة الفهم على النقيض من البلوصية التي تشبه لغة السند (ص ٤٧١ س ١١ ــ ١٢).

ووصف لغة مكران بأنها وحشة (ص ٤٨٢ س ٩).

وتكلم على خوزستان وأشار إلى الأهواز فكان من بين من أشار اليهم أهل رام هرمز فقال :

ولهم لسان لا يفهم ، ثم أتبعه بسند طويل رفع فيه الحديث إلى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقال :

أبغض الكلام إلى الله الفارسية ، وكلام الشياطين الخوزية وكلام أهل النار البخارية ، وكلام أهل الجنة العربية (ص ٤١٨ س ٦ ــ ١١).

أقول : والحديث ضعيف كما أشار الثقات . وانظر : تهذيب التهذيب لابن حجر ٢٩٩/١ ومثل هذا ما جاء في كنز العمال ١٨٤/٢ من تحريم الفارسية في الحج .

أقول : والثقات من المحدثين ضعفوا هذا الحديث (انظر ابن حبان (ذكره ابن حجر في الموضع السابق) والذهبي في ميزان الاعتدال ، وابن حجر في «لسان الميزان» تحت : اسماعيل بن زياد .

وأشار المصنف إلى أنَّ أهل الري يقولون : علكا وحسكا وحمكا تحببا في علي وحسن وأحمد وأهل همدان يقولون : أحمدلا ومحمدلا وعيشلا بدلا من أحمد ومحمد وعائشة .

وأهل ساوة يضيفون «أن» في الاعلام فيقولون أبو العباسان ، وحسنان وجعفران .

وأهل كرمان يكثرون من الكنية أبو جعفر ، كما أن أحب الكني في أصفهان «أبو مسلم» وفي قزوين «أبو الحسين» (انظر ص ٣٩٨ س ٤ ــ ٦).

فوائد لغوية

وردت كلمة الفسافساء والفسيفساء مرات عدة في الصفحتين ١٥٧، ١٥٨ وفي أمكنة أخرى.

كما ورد: وعمّان لها سوق مفسفس في الصفحة ١٧٥.

وقد ورد بشمشك لضرب من النعال، وهو لضرب من النعال، فارسي لم يرد في كتب المعرب (ص ١٥٣).

فراخ جمع فرخ: مصراع الباب (ص ١٥٧، ١٥٨)

«ترنجة وردت في (ص ١٥٨) وهي الأترجة، وهذه هي المعرب أما ما ورد في قول المصنف:

«وعلى رأس القبة ترنجة فوقها رمانة» فهي الفارسي الأصل.

الشروطيون: هم العدول (ص ١٥٨) وقد اشتهر جملة من الرجال بشهرة الشروطي كما في «الأنساب» لابن السمعاني.

القموح: جمع قمح (ص ١٦٠) في قول المصنف: «و بحوران والبثنية ضياع أيوب وديار مدينتها «نَوى» معدن القموح والحبوب»

الدواميس: جمع داموس (ص ١٦١، ١٧٢) في قول المصنف «الحمامات والدوامين» والفصيح هو: الدياميس جمع «دَيماس» بفتح الدال وكسرها ومعناه «الحمام» أو نحوه.

أرزاز: جمع رز (ص ١٦٢) في قول المؤلف «وأرزاز فلسطين».

وظيفة: بمعنى ما يخصص من مواد عينية كالطعام والزيت والثلج وغير ذلك للجند وغيرهم وللمساجد والمدارس قال المصنف: «وكانت وظيفته (أي المسجد الأقصى) في كل شهر مئة قسط زيت (ص ١٧١).

ترايت: في قول المصنف: «ترايت مراكبهم» (ص ١٧٧) وفصيحها «تراءت» والفعل مهموز وأظن أن هذا ليس من خطأ المؤلف بل من خطأ النساخ الذي يرسمون

الهمزة كما يحلوهم فيسهلونها فتكون ياء أو واوا أو الفا ، كما ورد «ترايا» وهو «تراءى» بوزن تفاعل في الطريقة عينها (ص ٢٢٥).

ارتفع : في قول المصنف «ويرتفع من فلسطين الزيت والقطين والزبيب والصابون ...» (ص ١٨٠).

أقول : و «الارتفاع» بمعنى الإنتاج والحاصل في لغتنا المعاصرة ، وهي من كلمات العصر العباسي.
وأما «القطين» فهو التين المجفَّف.
كيلجة : من الكلم المعرب لضرب من المكاييل (ص ١٨١)

لغة المصنف

يميل ، المصنف إلى تحري الفصيح ما استطاع إلى ذلك سبيلا ، ولكنه قد يتجاوز إلى الاستعمال المولد أحيانا بسبب من حرصه على السجع فتراه يقصر الممدود الذي لم يسمع فيه القصر نحو «لأوى» والفصيح «لأواء» على المد ، وقد اضطر إلى ذلك لتتناسب وكلمة «دنيا» (ص ١٥١).

ومن هذا قوله : «مأيا» وهو جمع عامي «ماء» بدلا من «مياه».
وكذلك استعماله «كرا» بدلا من «كراء» (ص ٤٤)
وقال : «أخير» بدلا من «خير» (ص ٣٤)

وقال : «كان ... شفعويا أبوعمريا» (ص ٢٠٣) أي شافعي المذهب يقرأ بقراءة أبي عمرو بن العلاء.

ويتوسع في النسب فيضيف الألف والنون نجد : «بلغماني أي بلغمي (٤٧٩) و «ذنباني» للنسبة الى «الذنب» (ص ٤٠٣) وكذلك «طولاني» بمعنى طويل (ص ٤٨٧).
وقد ورد لفظ «منبوت» وهو «منبت» (ص ١٨٣)

وقد استعمل الفعل «ترى» استعمالا عاميا بمعنى «فإذا» (ص ٣٦٤).

وقد يضطره مراعاة السجع إلى ارتكاب الخطأ فيقول : وتراهم ... حزبان ، بدلا من «حزبين (ص ٣٥٨) وبسبب من حاجات العصر وشيوع ألوان الحضارة دخل الكلم الدخيل في العربية ، وكثير منه من الفارسية ، والحاجة تدعو إلى ذلك ، ومن ذلك «البلاذات» جمع «بليذ» بمعنى قذر ، وهو «يليد» بالفارسية الحديثة ، والبلاذه القذارة والأوساخ.

أقول : كأني أميل إلى أن ما ورد من الكلم العامي والكلم المعدول عن جهته في نص المؤلف قد حدث بسبب أن المحقّق الناشر دي غوية. De Goeje كان قد اعتمد في نشره نسختين متغايرتين إحداهما كانت حافلة باللون العامي ، والأخرى كانت فصيحة الأسلوب ، وقد اجتهد الناشر فاختار من كل منهما ما يراه مناسبا ، فحدث أن جاء في النص هذا الأسلوب الدخيل.

وإني لأميل أيضاً الى أنَّ النسخة الحافلة بالكلم المولد قد صنعها النساخ أي أن النسخة يضاف إليها كلما انتسخت مرة أخرى.

والذي يقوى هذا عندي أن النسخة الفصيحة قد حفلت بنماذج عالية من الكتابة المنتقاة.

وكانت حواشي الناشر مفيدة لأنها توضح الفرق بين النسختين ، فمن ذلك مثلا ما ورد في الصفحة ١٢٥ في السطر الثاني فقد ورد في هامش النسخة (B) تعليق لأحد القراء على كلمة «أفمام» مستبعداً أن يقع هذا من المصنف. أما الناشر فقد أخذ الكلمة الصحيحة من النسخة (C) وهي «أفواه» وقد وردت «أفمام» ثانية في (ص ٣٩٤ س ٣).

ومن هذا ورود «الحقائب» في نسخة (B) (ص ٣٠٤ س ١٣) وفي نسخة (C) : الحقيبات وجاء في (ص ٤٠ س ١٥) و (ص ٢٣٨ س ٤) الحيعله في (B) ،والهيعلة في (C) في حين جاء الفعل «يهوعلون» على الخطأ في النسختين.

Table (6)

Year	Cross Domestic Product (Y)	External * Borrowing (B)	Foreign Aid (F)	Exports (X)	Imports (M)	Consumer Price Index (1980=100) (PI)
1967	131.2	6.80	53.93	11.340	55.040	30.1
1968	156.1	4.07	54.48	14.110	57.490	30.0
1969	183.4	6.13	45.30	12.690	67.750	32.5
1970	174.4	3.20	40.65	16.450	65.880	34.4
1971	186.2	9.50	36.61	9.420	76.630	36.0
1972	207.2	10.92	68.29	12.710	95.310	38.8
1973	218.3	12.83	64.60	14.380	108.200	34.1
1974	247.3	15.07	86.65	40.130	156.510	51.5
1975	312.1	32.70	140.36	46.570	234.010	57.7
1976	421.6	29.69	127.85	50.045	339.540	64.3
1977	514.2	71.23	168.75	61.243	454.420	73.7
1978	632.2	66.08	107.18	64.410	458.826	78.8
1979	753.0	73.70	320.69	83.250	589.523	90.0
1980	979.5	88.03	401.00	120.210	715.970	100.0
1981	1165.7	161.54	432.46	169.760	1047.500	107.7
1982	1353.2	130.77	375.36	185.860	1142.500	115.7
1983	1422.7	161.77	296.79	160.860	1103.310	121.5
1984	1490.0	155.65	282.56	261.050	1071.340	126.2
1985	1581.0	217.05	317.54	255.340	1074.450	130.0

Source: Central Bank of Jordan, Annual report and Monthly Statistical Bulletin. Various issues.
* Disbursed Loans only.